

هذه العميقة من جهة والباسقة العالية من جهة أخرى، هي سدرة طالت، تتشابه مع غيرها من الإناث من خلال قسّمات وجهها الممهورة في جفونهن، إلا أن لها نظرات تفردا وتميزها وتكسر التشابه وتلغيه، فتمعن حينئذ في الاختفاء لأن الصفات ما إن تبدأ بالتدليل والإشارة إليها حتى تتراجع عن التشبيه وتشرع بوصفها بالاختلاف والتفرد. وبذا فإننا لن نستدل عليها بأدواتنا نحن إلا إن قرّر الشاعر الكشف عنها.

هنا دخل الشاعر في السر وتغلغل فيه فامتلكه وصار فيه ومنه، وقد عرف (الدرب) ولكنه ما زال (يخفيه)، وسيظل النص ما دام في الخفاء. ولكن هل سيستمر الشاعر ويصبر على لعبته الإبداعية هذه؟

يأتي الشاعر في المقطع الثالث والعشرين وكأنه قد فرح بالسر فرحاً بلغ غايته، وحينما بلغ الغاية أخذ يتجاوز حدّه، ويطل برأسه نحو عالم المادة المكشوف، وراح يعلن عن ضيقه بالسر المخفي، وكعادة البشر في طبعهم الحاد ورغبتهم بالإعلان عن فرحتهم ذهب الشاعر ليعلن أولاً ضيقه وفراغ صبره وضجره من تحمّل السر على عاتقه فقال:

ضاقّت بنا الساحات  
لا ظل لا واحات  
والرمل في الواحات  
نمشي على الأربع

هذه الحياة الخاصة بينه وبين السر المخفي تحوّلت إلى عبء